الى الوجود وهم على التوحيد فما معنى هذا الترك في قوله تركت **قلت** الجواب من وجهين
الاول ان الترك عبارة عن عدم التعرض للشيء والالتفات اليه بالمرة وليس من شرطه ان يكون قد كان داخلا
فيه ثم تركه وخرج عنه الوجه الثاني وهو اقرب ان يوسف عليه السلام لما كان عند العزيز وهو كافر
وجميع من عنده كذلك وقد كان نبيهم ويوسف كان على التوحيد والايمان الصحيح صح قوله اني تركت ملة قوم
لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون فترك ملتهم واعرض عنهم ولم يوافقهم على ما كانوا عليه وتكرير لفظ وهم
في قوله وهم بالآخرة هم كافرون للتوكيد لشدة انكارهم للمعاد وقوله واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحق ويعقوب
لما ادعى يوسف النبوة واظهر المعجزة اظهر انه من اهل بيت النبوة وان آباه كلهم انبيا وقيل لما كان ابراهيم واسحق
ويعقوب مشهورين بالنبوة والرسالة ولهم الدرجة العليا في الدنيا والمنزلة الرفيعة في الآخرة وعند الخلق
اظهر يوسف عليه السلام انه من اولادهم وانه من اهل بيت النبوة ليسمعوا قوله ويطيعوا امره فيما يدعوهم اليه من
التوحيد ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء معناه ان الله تعالى لما اختارنا للنبوته واصطفانا للرسالة
وعصمنا من الشرك فما كان ينبغي لنا ان نشرك به مع جميع هذا الاختصاص التي اختصنا بها قال الواحدي
لفظة من في قوله من شيء زايدة كقولك ما جاني من احد وقال صاحب الكشاف ما كان لنا ما صح لنا
معشر الانبيا ان نشرك بالله من شيء اي شيء كان من ملك او جني او انسي فضلا ان نشرك به صنما لا يسمع
ولا يبصر ذلك من فضل الله يعني ذلك التوحيد وعدم الاشراك والعلم الذي رزقنا من فضل الله علينا
وعلى الناس يعني بما نصب لهم من الادلة الدالة على وحدانيته وبين لهم طريق الهداية اليه فكان ذلك من
فضل الله على عباده ولكن اكثر الناس لا يشكرون يعني اكثرهم لا يشكرون الله على هذه النعم التي انعم بها عليهم
لانهم تركوا عبادته وعبدوا غيره ثم دعاهما الى الاسلام فقال يا صاحبي السجن يريد يا صاحبي في هذا
السجن فاضافهما الى السجن كما تقول يا سارق الليلة لان الليلة مسروق فيها غير مسروقة ويجوز ان يريد
ساكني السجن كقولك اصحاب النار واصحاب الجنة أأرباب متفرقون يعني آلهة شتى من ذهب وفضة وصفر
وحديد وخشب وحجارة وغير ذلك وصغير وكبير ومتوسط متباينون في الصفة وهي مع ذلك لا تضر ولا
تنفع خير ام الله الواحد القهار يعني هذه الاصنام اعظم صفة في المدح واستحقاق اسم الالهية والعبادة
ام الله الواحد القهار قال الخطابي الواحد هو الفرد الذي لم يزل وحده وقيل هو المنقطع عن القرين
والمعدوم للشريك والنظير وليس هو كسائر الآحاد من الاجسام المولفة لان ذلك قد يكثر بانضمام بعضها
الى بعض والواحد ليس كذلك فهو الله الواحد الذي لا مثل له ولا شبيه في خلقه القهار قال الخطابي القهار
هو الذي قهر الجبابرة من خلقه بالعقوبة وقهر الخلق كلهم بالموت وقال غيره القهار هو الذي قهر كل شيء وذلله
فاستسلم وانقاد له وذل له والمعنى ان هذه الاصنام التي تعبدونها ذليلة مقهورة اذا اراد الانسان
قهرها اهانها قدر عليه والله هو الواحد القهار في ملكه والقهار لعباده الذي لا يغلبه شيء وهو الغالب
لكل شيء سبحانه وتعالى ثم بين عجز الاصنام وانها لا شيء البتة فقال ما تعبدون من دونه يعني من دون الله
وانما قال تعبدون بلفظ الجمع وقد ابتدا بالتثنية في المخاطبة لانه اراد جميع من في السجن من المشركين الا
اسماء سميتموها يعني سميتموها آلهة وأربابا وهي حجارة جماد خالية عن المعنى لا حقيقة لها انتم وآباؤكم
يعني من قبلكم سموها آلهة ما انزل الله بها من سلطان يعني ان تسمية الاصنام آلهة لا حجة لكم ولا برهان
ولا امر الله بها وذلك انهم كانوا يقولون ان الله امرنا بهذه التسمية فرد الله عليهم بقوله ما انزل الله بها
من سلطان ان الحكم الا لله يعني ان الحكم والقضا والامر والنهي لله تعالى لا شريك له فهو لكم امر ألا تعبدوا الا

اياه

اياه لانه هو المستحق للعبادة لا هذه الاصنام التي سميتموها آلهة ذلك الدين القيم يعني عبادة الله
هو الدين المستقيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك ولما فرغ يوسف عليه السلام من الدعا الى الله وعبادته
رجع الى تعبير رؤياهما فقال يا صاحبي السجن اما احدكما فيسقي ربه خمرا يعني ان صاحب شراب الملك
يرجع الى منزلته ويسقي الملك خمرا كما كان يسقيه اولا والعناقيد هي ثلاثة ايام يبقى في السجن ثم يدعو به
الملك ويرده الى منزلته الذي كان عليها واما الآخر فيصلب يعني صاحب طعام الملك والسلال
الثلاث ثلاثة ايام ثم يدعو به الملك فيصلب فتأكل الطير من رأسه قال ابن مسعود فلما سمعا قول
يوسف قالا ما رأينا شيئا انما كنا نلعب قال يوسف قضي الامر الذي فيه تستفتيان يعني فرغ من
الامر الذي فيه سألتما عنه ووجب حكم الله عليكما بالذي اخبرتكما به رأيتما او لم تريا شيئا وقال يعني
يوسف للذي ظن يعني علم وتحقق والظن بمعنى العلم انه ناج منهما يعني ساقي الملك اذكرني عند ربك
يعني عند سيدك وهو الملك الاكبر فقل له ان في السجن غلاما محبوسا مظلوما طال حبسه قوله
فانساه الشيطان ذكر ربه في هذه الكناية في انساه الى من تعود قولان احدهما انها ترجع الى الساقي
وهو قول جماعة من المفسرين والمعنى فانساه الشيطان ان يذكر يوسف عند الملك قالوا لان صرف
وسوسة الشيطان الى ذلك الرجل الساقي حين انساه ذكر يوسف اولى من صرفها الى يوسف والقول
الثاني وهو قول اكثر المفسرين ان هذه الكناية ترجع الى يوسف والمعنى ان الشيطان انسى يوسف
ذكر ربه عز وجل حتى ابتغى الفرج من غيره والاشتغال بمخلوق في دفع الضرر جائز الا انه لما كان مقام
يوسف اعلى المقامات ورتبته اعلى المراتب وهي منصب النبوة والرسالة لا جرم صار يوسف مؤاخذا بها
للقدر لان حسنات الابرار سيئات المقربين **فان قلت** كيف تمكن الشيطان من يوسف
حتى انساه ذكر ربه **قلت** بشغل الخاطر والقاء الوسوسة فانه قد صح في الحديث ان الشيطان
يجري من ابن آدم مجرى الدم فاما النسيان الذي هو عبارة عن ترك الذكر وازالته عن القلب بالكلية فلا يقدر
عليه وقوله تعالى فلبث في السجن بضع سنين اختلفوا في قدر البضع فقال مجاهد هو ما بين الثلاث
الى السبع وقال ابن عباس هو ما دون العشرة واكثر المفسرين على ان البضع في هذه الآية سبع سنين وكان
يوسف قد لبث قبلها في السجن خمس سنين فجملة ذلك اثنتي عشرة سنة وقال وهب اصاب ايوب البلا سبع سنين
وقول يوسف للساقي اذكرني عند ربك قيل له يا يوسف اتخذت من دوني وكيلا لاطيلن حبسك فبكى يوسف
عليه السلام وقال يا رب انسى قلبي كثرة البلوى فقلت كلمة قال الحسن قال النبي صلى الله عليه وسلم
رحم الله يوسف لولا الكلمة التي قالها ما لبث في السجن ما لبث يعني قوله اذكرني عند ربك ثم بكى الحسن وقال
نحن اذا نزل بنا امر فزعنا الى الناس ذكره الثعلبي مرسلا وبغير سند وقيل ان جبريل دخل على يوسف في السجن
فلما رآه يوسف عرفه فقال له يوسف يا اخا المنذرين ما لي اراك بين الخاطئين قال يا طاهر ابن الطاهرين
يقرأ عليك السلام رب العالمين ويقول لك اما استحييت مني ان استغثت بالآدميين فوعزتي وجلالي
لالبثنك في السجن بضع سنين قال يوسف وهو في ذلك عني راض قال نعم قال اذا لا ابالي وقال كعب
قال جبريل ليوسف يقول الله عز وجل من خلقك قال الله قال فمن رزقك قال الله قال فمن حببك الى ابيك
قال الله قال فمن نجاك من كرب البئر قال الله قال فمن علمك تاويل الرؤيا قال الله قال فمن صرف عنك السوء
والفحشاء قال الله قال فكيف استغثت بآدمي مثلك قالوا فلما انقضت السبع سنين وهذا السبع سوى الخمس
سنين التي كانت قبل ذلك ودنا فرج يوسف واراد الله اخراجه من السجن رأى ملك مصر الاكبر رؤيا عجيبة

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)